بسم الله الرحمن الرحيم

مُجْتَمَعٌ يَتَسَامَى بِالأَخْلَاقِ وَالعَطَاءِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ الْإِنْسَانَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْإِحْسَانِ، وَجَعَلَ التَّفَاضُلَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِسُمُوِّ الْقِيَمِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هَدَى عِبَادَهُ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ لِيَسْلُكُوا سُبُلَ الارْتِقَاءِ وَالرَّشَادِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، رَبَّى النُّفُوسَ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَبَنَى مُجْتَمَعًا أَشْرَقَ بِالْهِدَايَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي –عِبَادَ اللَّهِ– بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهَا تَرْفَعُ الْهِمَمَ، وَتُزَكِّي النُّفُوسَ، وَتَهْدِي إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، وَبِهَا يَرْتَقِي الْإِنْسَانُ فِي أَخْلَاقِهِ وَفِكْرِهِ وَعَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾[1]. وَاعْلَمُوا –رَحِمَكُمُ اللَّهُ– أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْعَقْلِ، وَزَيَّنَهُ بِالْإِيمَانِ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الارْتِقَاءِ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، وَلِذَلِكَ جَاءَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ لِتَصْنَعَ إِنْسَانًا يَتَسَامَى فِي فِكْرِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَعَلَاقَاتِهِ وَعَمَلِهِ، حَتَّى يَكُونَ عُنْصُرَ بِنَاءٍ وَخَيْرٍ وَإِصْلَاحٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾[2]، فَهِيَ كَرَامَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا، وَمَنْزِلَةٌ تَسْتَوْجِبُ سَعْيًا إِلَى مَا يَلِيقُ بِهَا مِنْ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ أَوَّلَ مَا تَتَسَامَى بِهِ الْمُجْتَمَعَاتُ زَكَاءُ النُّفُوسِ وَعُلُوُّ الْأَخْلَاقِ، فَلَا يَرْتَفِعُ مُجْتَمَعٌ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَسْتَقِرُّ فِي أَبْنَائِهِ مِنْ قِيَمٍ، وَمَا يَشِيعُ بَيْنَهُمْ مِنْ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ وَإِحْسَانٍ، وَلِذَلِكَ جَاءَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ تُزَكِّي النُّفُوسَ، وَتَرْتَقِي بِالْمَشَاعِرِ، وَتُهَذِّبُ السُّلُوكَ، حَتَّى يُصْبِحَ الْخَيْرُ طَبْعًا، وَالْفَضِيلَةُ مَنْهَجًا، وَالاسْتِقَامَةُ طَرِيقًا لِلْحَيَاةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))، فَإِذَا عَمَرَتِ الْأَخْلَاقُ النُّفُوسَ، خَفَّتِ الْخُصُومَاتُ، وَاطْمَأَنَّتِ الْقُلُوبُ، وَأَصْبَحَ الْمَعْرُوفُ مُقِيمًا فِي

(١) البقرة: ٢٨٢
(٢) التين: ٤

حَيَاةِ النَّاسِ. هَذَا، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ التَّسَامِي أَنْ يَمْلِكَ الْإِنْسَانُ زِمَامَ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَقُودَ رَغَبَاتِهِ بِهَدْيِ الْقِيَمِ، فَيَرْعَى الْحَيَاءَ، وَيَصُونَ الْمَشَاعِرَ، وَيَحْفَظَ حُدُودَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾[1]، وَلِذَلِكَ عَرَضَ الْقُرْآنُ نَمَاذِجَ سَامِيَةً تُجَسِّدُ هَذِهِ الْمَعَانِيَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ جَاءَتْ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، ثُمَّ شَهِدَتْ لَهُ بِقَوْلِهَا: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2]، فَجَمَعَ الْقُرْآنُ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ بَيْنَ الْحَيَاءِ وَالْأَمَانَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهِيَ قِيَمٌ تَبْنِي الثِّقَةَ، وَتَحْفَظُ الْكَرَامَةَ، وَتُشِيعُ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ فِي الْمُجْتَمَعِ، فَيَخْطُو بِذَلِكَ أُولَى دَرَجَاتِ الرُّقِيِّ وَالارْتِقَاءِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِذَا كَانَتِ الْأَخْلَاقُ تَرْفَعُ الْإِنْسَانَ وَتَضْبِطُ سُلُوكَهُ، فَإِنَّ الْوَعْيَ يَرْفَعُهُ فِي نَظْرَتِهِ إِلَى الْحَيَاةِ وَمَوَاقِفِهِ مِنْهَا؛ فَالْمُجْتَمَعُ الْمُتَسَامِي لَا تَقُودُهُ الشَّائِعَاتُ، وَلَا تُحَرِّكُهُ الانْفِعَالَاتُ الْعَابِرَةُ، بَلْ يَبْنِي أَحْكَامَهُ عَلَى الْعِلْمِ، وَيَزِنُ أُمُورَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَيَتَثَبَّتُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، أَوْ يَحْكُمَ، أَوْ يَنْقُلَ. وَلِذَلِكَ دَعَا الْقُرْآنُ إِلَى إِعْمَالِ الْعَقْلِ وَالتَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾[3]، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾[4]، كَمَا حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ التَّسَرُّعِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))، فَالْكَلِمَةُ قَدْ تَبْنِي وَقَدْ تَهْدِمُ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ أَيْقَظَتْ أُمَّةً، وَرُبَّ كَلِمَةٍ أَوْقَعَتْ فِتْنَةً، وَرُبَّ خَبَرٍ غَيَّرَ مَسَارَ قَرَارٍ أَوْ مَصِيرَ إِنْسَانٍ. وَإِنَّ الْوَعْيَ الصَّادِقَ هُوَ الَّذِي يَحْفَظُ لِلْإِنْسَانِ بَصِيرَتَهُ وَسْطَ كَثْرَةِ الْأَصْوَاتِ وَتَزَاحُمِ الْمُؤَثِّرَاتِ، فَإِذَا اسْتَنَارَ الْفِكْرُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَتَحَصَّنَ بِالتَّثَبُّتِ وَالْبَصِيرَةِ، كَانَ الْإِنْسَانُ أَقْدَرَ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ، وَأَقْرَبَ إِلَى أَنْ يَكُونَ عُنْصُرَ هِدَايَةٍ وَإِصْلَاحٍ فِي مُجْتَمَعِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، وَارْفَعُوا هِمَمَكُمْ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، وَزَكُّوا أَخْلَاقَكُمْ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْحَيَاءِ، وَنَوِّرُوا عُقُولَكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّثَبُّتِ؛ فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ تَسْمُو بِهِمَّةِ أَبْنَائِهَا، وَتَزْدَهِرُ بِارْتِفَاعِ قِيَمِهَا، وَتَشْتَدُّ أَرْكَانُهَا حِينَ يَجْتَمِعُ فِيهَا صَفَاءُ الْأَخْلَاقِ وَرَجَاحَةُ الْعُقُولِ.

(١) النور: ٣٠
(٢) القصص: ٢٦
(٣) النساء: ٨٢
(٤) الحجرات: ٦

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِحْسَانَ وَالْإِتْقَانَ عُنْوَانَ الْفَلَاحِ، وَرَفَعَ بِهِمَا دَرَجَاتِ الْعَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، غَرَسَ فِي أُمَّتِهِ رُوحَ الْبِنَاءِ وَالْعَطَاءِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ –، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يُسْتَخْلَفْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ إِلَّا لِيَكُونَ صَانِعًا لِلْعُمْرَانِ، وَلَمْ يُمْنَحْ مَا مُنِحَ مِنْ عَقْلٍ وَقُدْرَةٍ وَمَوَاهِبَ إِلَّا لِيَجْعَلَ مِنْهَا نَفْعًا يَمْتَدُّ، وَخَيْرًا يَتَجَدَّدُ، وَأَثَرًا يَبْقَى، وَمِنْ هُنَا كَانَ الْبِنَاءُ رِسَالَةَ الْمُؤْمِنِ، وَالْعَطَاءُ سَجِيَّتَهُ، وَالْإِتْقَانُ شِعَارَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[1]، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2]، فَالْمُؤْمِنُ لَا يَمُرُّ بِالْحَيَاةِ مُرُورَ الْعَابِرِينَ، بَلْ يَتْرُكُ فِيهَا بَصْمَةً نَافِعَةً، يَبْنِي بَيْتًا عَلَى الْمَوَدَّةِ، وَيَغْرِسُ عِلْمًا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ بِأَمَانَةٍ وَإِتْقَانٍ، وَيَجْعَلُ مِنْ وَقْتِهِ وَجُهْدِهِ لَبِنَةً فِي صَرْحِ مُجْتَمَعِهِ. فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ هِمَمًا عَالِيَةً، وَأَعْمَالًا مُتْقَنَةً، وَآثَارًا نَافِعَةً، ازْرَعُوا الْخَيْرَ فِي بُيُوتِكُمْ، وَأَتْقِنُوا أَعْمَالَكُمْ، وَشَارِكُوا فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعَاتِكُمْ، وَاجْعَلُوا مِنْ أَوْقَاتِكُمْ وَجُهُودِكُمْ لَبِنَاتٍ فِي صَرْحِ الْوَطَنِ وَعُمْرَانِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ))، وَحِينَ يَسْرِي هَذَا الْمَعْنَى فِي النُّفُوسِ، يَتَحَوَّلُ الْعَطَاءُ إِلَى ثَقَافَةٍ، وَالْإِنْتَاجُ إِلَى قِيمَةٍ، وَالْمَسْؤُولِيَّةُ إِلَى خُلُقٍ عَامٍّ، فَتَنْهَضُ الْأَعْمَالُ، وَتَزْدَهِرُ الْبِلَادُ، وَيَغْدُو الْمُجْتَمَعُ شَاهِدًا عَلَى قِيَمِهِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنْ خَيْرٍ وَعُمْرَانٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ –عِبَادَ اللَّهِ–، وَاجْعَلُوا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ نُورًا، وَمِنْ وَعْيِكُمْ بَصِيرَةً، وَمِنْ أَعْمَالِكُمْ أَثَرًا بَاقِيًا؛ فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَاتِ تَرْتَفِعُ بِقِيَمِهَا، وَتَزْدَهِرُ بِخَيْرِهَا، وَيَخْلُدُ ذِكْرُهَا بِمَا تَتْرُكُهُ مِنْ نَفْعٍ لِلنَّاسِ. فَاجْعَلُوا لِأَوْطَانِكُمْ نَصِيبًا مِنْ عَطَائِكُمْ، وَلِحَيَاتِكُمْ أَثَرًا يَزْكُو بَعْدَكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ:

(١) هود: ٦١
(٢) الملك: ٢

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦